



تاسس ٢٧ ديسمبر ١٨٧٥ - العدد الأول ٥ أغسطس ١٨٧٦ - سليم و بشارة تقلا

الجمعة، 31 مارس 1995

منابر التنوير المصرى.. وما قدمته لثقافتنا المعاصرة !!

هكذا تكلم أستاذ التاريخ

د. رعوف عباس: لم نحسن فهم التاريخ ولا أرخنا لفكرنا القومى.. فكررنا أخطاءنا

حوار أجرته: عايدة رزق

فى القطار السريع الذى يربط بين طوكيو وإحدى المدن اليابانية عبث طفل صغير فى المقعد الذى يجلس عليه فنظرت إليه أمه نظرة غاضبة وقالت بحزم "ما هكذا يفعل طفل يابانى" .. إنتهى الموقف بأن كف الصغير عن عبثه.. لكن الجملة التى قالتها الأم لفتت إنتباه أستاذ التاريخ المصرى الذى تصادف جلوسه أمامها فى القطار.. أدرك أن هذا الإنتماء الجميل الذى يكنه اليابانيون لوطنهم لم يأت صدفة.. بل صنعتها كلمات الأمهات ووسائل الإعلام ومناخ عام ومناهج التعليم حتى زيارات المتاحف.. داخل هذه المتاحف رأى أستاذ التاريخ المصرى ما حرك شجونه.. دروس التاريخ والرسم واللغة تدرس كلها لتلاميذ المدارس.. إهتمام لا حد له بالتاريخ.. رغم أنهم أصحاب واحدة من أقصر التجارب التاريخية فى العالم. تذكر حصص التاريخ فى مدارس أصحاب أعرق تجربة تاريخية.. فزادت شجونه. أستاذ التاريخ المصرى الذى لم تبرح خياله مصر أثناء إقامته فى اليابان منذ فترة كأستاذ زائر هو د. رعوف عباس أستاذ التاريخ الحديث بكلية الآداب جامعة القاهرة وأمين عام الجمعية المصرية للدراسات التاريخية.

قلت له: هل تعتقدون أن قسم التاريخ إستطاع أن يلعب دوراً ملموساً فى معرفة التاريخ الحقيقى لمصر وللمنطقة وإشاعة هذه المعرفة؟

قال: بدون شك إستطاعت أقسام التاريخ فى الجامعات المصرية أن تقدم مساهمة هامة فى دراسة تاريخ مصر وتاريخ المنطقة.. والبدائية كانت فى الثلاثينيات فى إطار إهتمام عام من جانب الدولة ممثلة فى القصر الملكى لدراسة تاريخ أسرة محمد على.. تأسست دار الوثائق فى عابدين بواسطة خبراء فى التوثيق والترجمة... ووجه محمد شفيق غربال تلاميذه لدراسة عصر محمد على وأسرته وركز د. أحمد الحتة على دراسة الزراعة وتاريخ الفلاح المصرى وتناول أحمد عزت عبد الكريم تاريخ التعليم.. فى نفس الوقت كان هناك إهتمام بالتاريخ الإسلامى من قبل تلاميذ حسن إبراهيم حسن والدكتورة سيدة الكاشف ود. مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور.. كما إهتم قسم التاريخ فى جامعة الإسكندرية بدراسة تاريخ الأندلس ويعد مختار العبادى واحداً من أهم الأساتذة فى هذا المجال.. وفى بداية الستينيات بدأ الإهتمام بدراسة تاريخ الأقطار العربية.. أما القضية الفلسطينية فقد نالت إهتمام عدد كبير من الباحثين المصريين.. الذين قدموا أحسن الدراسات فى هذا المجال.. كل هذا الإنتاج، من يستطيع أن ينكره؟

قلت: هل يعنى ذلك أننا نملك الآن معرفة دقيقة بتاريخ مؤسساتنا المختلفة مثل أجهزة الإدارة والقضاء والنقابات والأحزاب وتاريخ المرأة والحرفيين ورجال الدين وغيرهم؟

قال: جميع هذه الموضوعات تم تناولها فى العديد من البحوث الهامة.. فتاريخ المؤسسات وتاريخ الطبقات الإجتماعية والقضاء والتعليم والأنشطة الزراعية والصناعية وغيرها تناولها المؤرخون فى بحوث عديدة.. أما المجال الثقافى الذى لم يبحث حتى الآن فهو تاريخ الفكر والتاريخ الثقافى بشكل عام.. فهذا المجال يحتاج لمؤرخ مستوعب تماماً الحركة الثقافية والفكرية والتيارات والمدارس المختلفة بالإضافة إلى حركة المجتمع فى جميع مجالاته.

قلت: ترتفع الآن دعوة لإعادة كتابة التاريخ المصرى والعربى فى ضوء ما يسمى مناهج حديثة وفلسفات جديدة للتاريخ.. فهل لقسم التاريخ دور فى مثل هذا المجال؟

قال: أنا ضد قولبة التاريخ.. لا يمكن أن أخذ إطاراً نظرياً جاهزاً وأصب فيه التاريخ.. ولا توجد نظرية واحدة لتفسير التاريخ.. ولكن هناك نظريات مختلفة لا يمكن أن تصدق بالكامل على كل المجتمعات وعموماً فإن تفسير التاريخ يرتبط بثقافة المؤرخ وموقفه الفكري والتجربة التاريخية التي يتصدى لدراستها.

قلت: هل نملك مدارس مصرية لكتابة التاريخ؟

قال: لا توجد مدارس مصرية ولا عربية لدراسة التاريخ.. نحن للأسف نتبع المدارس الغربية فالعلوم الاجتماعية بوجه عام في مصر تواجه أزمة منهم ولذلك نضطر أن نعيش على موائد الفكر الغربي!

قلت: حال حصة التاريخ في مدارسنا !

قال: التاريخ لا يلقى الإهتمام الكافي في مدارسنا.. ولا يوصل رسالة معينة.. والطريقة التي يدرس بها تجعل المتلقى يكره التاريخ.. أما كتب التاريخ المدرسية فقد كتبت بطريقة لا تضع في الاعتبار توفير القدر الضروري من التربية القومية للتلاميذ.. فهناك مثلاً إهتمام ضئيل بتاريخ مصر الفرعونية وإهتمام كبير بتاريخ مصر الإسلامى بسبب التوجه السياسى نحو القومية العربية حيث الإسلام مكون أساسى لها كما أن هناك تخبطاً فى التاريخ الحديث فيما يتعلق بالشخصيات السياسية مما يؤدي فى النهاية إلى فقدان الهدف من تدريس التاريخ فى المدارس.. ولا يلعب البيت أى دور فى تقديم الثقافة التاريخية الضرورية للنشء.. وينبغي أن نفهم أن خلق الروح الوطنية يتم عن طريق تكثيف الوعي بالتاريخ.

لماذا ندرس التاريخ ؟

هذا السؤال أجاب عنه ديورانت بقوله: "إن الذين يدرسون التاريخ لا بصفته تذكرة للتحذير من حماقات الإنسان وجرائمه فقط وإنما بصفته أيضاً تذكراً مشجعاً للنفوس المبدعة، فإن الماضى يكفى فى نظرهم عن أن يكون باعثاً على الغم والخوف بل يصبح مدينة سماوية حيث يواصل ألوف السياسيين والمخترعين والشعراء والفنانين والعشاق، الكلام والإختراع والغناء والتعليم".

وأجاب عنه د.عروف بقوله: "التاريخ هو ذاكرة الأمة ومحصلة تجاربها ونحن ندرس التاريخ لفهم إيجابيات التجربة التاريخية وسلبياتها.. وحين تقع فى نفس الأخطاء فذلك لأننا لم نع التاريخ جيداً.. فحين نشأ القطاع العام فى الستينات لم ن فكر ان نتعلم من سلبيات تجربة محمد على وحين حدث الإنفتاح لم نتعلم أيضا من نفس التجربة.

قلت : هل نملك تاريخاً قومياً واضحاً وعادلاً عن مختلف عصور ومراحل التاريخ المصرى؟

قال: لا نملك رؤية شاملة لتاريخنا القومى.. وهذه حقيقة لأبد ان نواجهها.. ولا توجد عندنا دراسة تقدم عرضاً لتاريخنا عبر العصور المختلفة فى الستينات كانت هناك محاولة قامت بها وزارة الثقافة لدراسة "تاريخ الحضارة المصرية" صدر منها الجزء الخاص بالتاريخ القديم والتاريخ الإسلامى ولم يصدر الجزء الخاص بالتاريخ الحديث.. كما أنه لا توجد عندنا موسوعة تاريخية تدرج حسب المستويات العمرية المختلفة بمعنى موسوعة تاريخية للطفل وأخرى للشباب كما هو الحال فى الدول المتقدمة.. كما نفتقد إلى التكامل والتداخل بين الدارسين للعصور المختلفة.. ونتيجة لذلك لا توجد حتى على المستوى الأكاديمى رؤية شاملة لتاريخنا القومى.

هناك حكمة تقول أن الشعوب التى تهمل ماضيها تجد نفسها مسوقة إلى تكرر ها!!